على الأثير

تجربة جديدة في الدراما الإذاعية

مشموشي ومغنية: اضحك عليها... تنجلي

زينب حاوي

تتصاعد الأسئلة والإشكاليات حول مصير التلفزيون وحتى الإذاعة (ضمناً)، في عصر ما زال حائراً بشأن انعكاسات العوالم الافتراضية والاتصالية على المهنة. ومع تسجيل تراجع في سوق الدراما التلفزيونية، بسبب جشع السوق والشركات المنتجة وحتى أصحاب المحطات، ما زالت الإذاعة المكان الأكثر حنيناً وحميمية، لدى العديد من الفنانين/ات، ومرتكزاً لمقاربة قضايا الناس وهمومهم المعيشية.

على موجة إذاعة «لبنان» (98,1 -98,5)، سيطلق الممثل والكاتب اللبناني عدي رعد، الأسبوع المقبل، برنامجاً جديداً في أول تعاون له مع الإذاعة الرسمية. «صباحو يا جميل»، كوميديا سوداء كتبها وأخرجها رعد، يؤدي بطولتها الممثلان مجدي مشموشي (الصورة) وباسم مغنية. تجربة مختلفة سيخوضها الرجلان، بعدما اعتادت الشاشة الصغيرة على وجهيهما، كبطلين في الدراما المحلية والعربية. البرنامج الذي نفذ منه 15 حلقة حتى اليوم، ولم يحدد بعد موعد ثابت لانطلاقه، يتناول قصة عاملين في معمل لفرز النفايات. مع كل حادثة تحصل لهما، ينطلق العمل لمقاربة قضية شائكة في لبنان، تتعلق بحياة اللبنانيين اليومية، من قضايا الكهرباء والنفايات، ومشاكل داخل الأسرة الواحدة، والإسراف في الطعام، وصولاً الى موضوع النزوح السوري. كل هذه المواضيع وغيرها، سيتولى الحديث عنها، كل من مغنية ومشموشي، بلغة عامية، تشبه لغة الناس، وأحاديثهم اليومية.

قضايا ستوضع ضمن قالب درامي، مطعم بالكوميديا السوداء ليحاكي أكثر الناس. لكن، ماذا عن القضايا الشائكة الحساسة التي يعتريها جدل واضح وانقسام في الآراء كقضية النزوح السوري، كيف ستتم مقاربتها؟ يجيبنا عدي رعد بأنّ فريق العمل سيتولى الكلام عن هذه القضية، بطريقة «موضوعية» عبر عرض وجهتي النظر السورية واللبنانية، من دون أي تدخل إضافي من قبله.

التجربة الدرامية في الإذاعة، التي تتطلب جهداً إضافياً في العمل، لإيصال الصورة عبر الصوت ومؤثراته، لا شك في أنها تطلّبت مجهوداً واضحاً من مشموشي ومغنية، ليكونا أقرب بأدائهما الى إيصال الفكرة، الى أسماع الناس، بعدما اعتادا لسنوات طوال على اقتران الشق البصري أكان في التلفزيون أو في السينما أيضاً.

ومع كل هذه الخلطة في المواضيع المطروحة، التي تلامس حكايا الناس، واستخدام الدقة في بعضها المثير للجدل، يبقى السقف الذي تضعه المؤسسة لأصحاب العمل، من أجل «دوزنة» أفكارهم وطريقة تناولها درامياً. أمر لا يشكو منه الممثل والكاتب اللبناني، لأنّ إذاعة «لبنان» منحته «سقفاً عالياً من الحرية» على حد تعبيره.

وقفة

الانقلاب الرمادي على الإذاعة

عمر الفاروق النخال *

لا يمكن الحديث عن الإذاعة من دون المرور على خصال مارسها كل مستمع وفيّ لها أو حالم بممارسة هذه المهنة أو فضولي ساع الى اكتشاف هذا العالم الملّيء بسحر بسيط خاص، قوامه الصوت فقط والكثير من الآفاق الفكرية والإبداعية الواسعة.

حالما تطلب من أحد الإذاعيين أو الإذاعيات رواية بداية العمل في هذا المجال أو سرد بعض الذكريات، تأتيك المعطيات متطابقة الى حد كبير. استبدل أغلبهم جهاز الميكروفون بشيء من حواضر المطبخ مع إسراف كبير في استهلاك أشرطة الكاسيت لتسجيل الفقرات الترفيهية ومحفوظات المدرسة أو حتى الحوارات المنزلية العادية الى حين ظهور أجهزة التسجيل صغيرة الحجم والمتميزة بوضوح الصوت. هذا التطابق في الخصال والذكريات، يعطي صورة متطابقة أيضاً عن الطباع المشتركة التي يتقاسمها الإذاعيون والإذاعيات. للانتقال من مرحلة الهواية الى مرحلة الالتحاق بالعمل الإذاعي، محطات واستحقاقات لا بد من المرور بها ومعايشة لذتها وهفواتها، خاصة في النشرة الإخبارية الأولى والبرنامج الأول والإطلالة المباشرة الأولى. وكلّها تبقى ذكريات محببة يحرص الإذاعيون على استرجاعها لما تتميز به من دفء مميز ومختلف عن العمل في وسيلة إعلامية أخرى. ربّما هذا لبقاء هذه الهفوات في إطار عفوي طبيعي يسهل معه الاعتذار من دون الشعور بارتكاب جريمة أو كارثة، مع الإشارة الى أن المستمعين ليسوا جمهوراً متسامحاً مع الخطأ الى هذه الحدود، لكن طبيعة مرورهم اليومي على أصوات من يحبون يجعلهم قادرين على التعاطف مع الإذاعي أو الإذاعية. حتى إنّهم مع مرور الزمن يصبحون قادرين أيضاً على تحليل المزاج اليومي للمقدم أو المقدمة خاصة في الفترات المباشرة الصباحية والمسائية.

قبل مرحلة الاحتراف إذاً، لا شيء يشجع الإذاعيين على أي خطوة تظهر للناس وجوههم. هم يكتفون فقط بأسمائهم وببصمتهم الصوتية هوية، وببعض الأخطاء حافزاً لتحسين أدائهم بهدف الوصول الى أول نشرة خالية من الأخطاء، وأول مقابلة بلا هفوات، وأول فترة مباشرة بعيدة عن الارتباك من باب العمل على تثبيت الحضور. حتى إنّ كبار الإذاعيين في لبنان والعالم العربي مروراً على المهنة تاركين بالكاد صوراً نادرة لا توثق بالضرورة أعمالهم وإبداعاتهم.

هذه الأجواء واكبتها الإذاعة لسنوات طويلة، حاملة قناعة عنيدة مفادها أن لا شيء فوق العادة أو خارجاً عن المألوف سيطرأ على العمل الإذاعي لجهة تطوير المضامين أو تحسين تقنيات البث أو التفاعل مع الجمهور. حتى إنّ وجود الانترنت لم تستفد منه الإذاعة في بادئ الأمر سوى في تخصيص عناوين الكترونية لتحسين المراسلة بينها وبين جمهورها. ويوم قررت الاذاعات خلق مواقع الكترونية لها على الشبكة، لم تراع عامل الصورة لا لتجهيزاتها ولا لفريق عملها، فبقيت الإذاعة بناسها عالماً سرياً لكثيرين، إلى أن جاء التحول الكبير.

> يعتبر التيار الكلاسيكي أن حرباً شرسة تمارس على خصوصيته عبر وسائل التواصل الاجتماعي وتطور تقنياتها

أسمّيه تحولاً، ليس لأنه روّج للإذاعة وموجاتها وبرامجها وضيوفها أمام جمهور قد لا يكون من المستمعين أصلاً، بل لأنه تجرأ على كلاسيكية هي في الأصل أساس السحر الذي بنت عليه الإذاعة مجدها. أتحدث في هذا المجال عن «الانقلاب الرمادي» الذي تواصله وسائل التواصل الاجتماعي بصعوبة ضد التيار الإذاعي الكلاسيكي الرافض حتى اليوم إظهار وجهه الى مستمع رسم في مخيّلته ألف وجه عمّن يهمس له ليل نهار داخل جهاز الراديو.

يعتبر هذا التيار الكلاسيكي أنّ حرباً شرسة تُمارس على خصوصيته عبر تلك الوسائل وتطور تقنياتها وتطبيقاتها. حين وضع الإذاعيون صوراً لهم خلف الميكروفون على فايسبوك ولاحقاً على تويتر وانستغرام، كان وقع ذلك مقلقاً على مستقبل الإذاعة، لجهة انكشاف أصحاب الاصوات الرخيمة وصولاً الى تقنية البث المباشر الذي خوّل الجمهور اكتشاف العمل الإذاعي بالصوت والصورة. هذا ما أوجد إشكالية الموت أو البقاء لوسيلة اعتادت التغريد خارج سرب التقدم التكنولوجي متسلحة بأمجاد ماضيها.

إشكاليات على صورة صراع الأجيال، تعيشها الإذاعات اللبنانية والعربية داخل أروقتها، تبدأ بتراشق الاتهامات بتراجع الثقة، وتمرّ بدراسة جدوى تقديم المضمون الإذاعي بالصوت والصورة أمام جمهور قد لا يكون متابعاً للإذاعة، ولا تنتهي بغصة الانهزام والاستسلام لنهر الصورة الجارف الذي قضى ـ بحسب التيار الكلاسيكي ـ على مذهب إعلامي بحد ذاته، فيما وفّر للتيار المُجدّد فرصة الظهور على الشاشة بعد إيجاد المناسبة لكشف مواصفات من هو خلف الميكروفون شكلاً وصوتاً، ما يضيّق دائرة الخطر على الإذاعة كمدرسة إعلامية يوماً بعد يوم من دون أن يخرق هذه الخطورة سوى قناعات «طوباوية» مصرة على استمرارها دواءً وبلسماً لجراح الناس.

هو انقلاب رمادي، لا أسود ولا أبيض، ليس قادراً على تذويب الإذاعة في الشاشة بشكل كامل، ولا يتجرأ في الوقت نفسه على إغلاق أبوابها. ففي داخلها كبارها وكبارنا ومعهم المجد الماسيّ والذاكرة السمعية والعصور الذهبية. انقلاب يطالب بآخر همسات الأثير، وأثير عليه إعادة الاعتبار بشعارات المظلومية، هذه هي المعركة!

* صحافي وإذاعي

بوليغان ـ المكسيك